الأمور الميسرة لقيام الليل

تأليف
وحيد بن عبد السلام بن بالي

دار ابن رجب



الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م

الناشر

دار ابن رجب

المركز الرئيسي : فارسكور : ٠٥٧/٤٤١٥٥٠ ـ ٠١٢٢٨٣٠٢٥٦

فرع المنصورة : محطة الأتوبيس الدولية : ٠٥٠/٢١٢٠٦٨

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد :

فإن قيام الليل من الطاعات العظيمة ، والقربات الجليلة ولقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يداومون عليـه ، حـتى أنك إذا دخلت مدينة من المدن على عهدهم لتسمع لهم دوياً كدوي النحل في الليل . كلٌّ يقيم في بيته ويشجع أهله وأولاده على ذلك .

وإن قيام الليل له لذة ، وفيه حلاوة وسعادة لا يشعر بها إلا من صَفَّ قَدَمَيْهِ لله في ظلمات الليل يعبد ربه ، ويشـــكو ذنبه ، ويناجي مولاه ، ويطلب جنته ، ويرجو رحمته ، ويخاف عذابه ، ويستعيذ من ناره .

ولقد كتبت هذه الكلمات لإخواني المسلمين خاصة من الشباب الصالحين ، الذين يعملون لنصرة هذا الدين ، ويبذلون في سبيل ذلك كل غالٍ وثمين ، لأن قيام الليل جهاد خفي ، وعمل مرضي ، وسعي مجزي .

ودفعني لكتابة هذه الرسالة كـــثرة شكواهم من الإهمال في قيام الليل ، مع ما عندهم من حبٍّ للقيام إلا أنهم يتعثرون في ذلك ، فمرة يقومون ، ومرات ينامون ومع ذلك فهم يتحسرون ويندمون على ما يفوتهم من هذا العمل العظيم ، والأجر الكبير .

لهؤلاء فقط كتبت هذه الرسالة سائلاً المولى جل وعلا أن ينفع بها كل من قرأها ونظر فيها ، وأن يذيقنا لذة قيام الليل ويرزقنا حلاوته ، إن ربي سميع مجيب .

وصل اللهم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه والتابعين .

وكتبه

أفقر الخلق إلى الله

وحيد بن عبد السلام بالي

أبها في ٥ رمضان ١٤١٠ هـ

فضل قيام الليل

لقد وصف الله المتقين فقال : ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ** ﴾ أي في دار الدنيا ثم بَيَّنَ إحسانهم في العمل فقال : ﴿ **كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾ [الذاريات : ١٥-١٨]

قال الحسن البصري – رحمه الله تعالى –: كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل إلا أقله ، ونشطوا فمدوا إلى السحر حتى كان الاستغفار بالسحر[١].

ووصف سبحانه المؤمنين فقال : ﴿ **إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ**

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٢٥٠) .

﴿ عَنِ الْمَضَاجِعِ ... ﴾ [السجدة : ١٥-١٦] يعني بذلك قيام الليل وترك النوم والاضطجاع على الفُرُش الوَطيئة .

ثم قال سبحانه : ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ أي خوفاً من وبال عقابه ، وطمعاً في جزيل ثوابه[١].

وكيف لا يقومون الليل وقد كان سيدهم وإمامهم وفخرهم رسول الله ﷺ يقيم الليل حتى تَتَوَرَّمَ قدماه . يَصفُهُ عبد الله بن رواحة ﷺ فيقول :

وَفينــا رَسُــولُ الله يَتْــلُوْ كتَــابَهُ
إذا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ منَ الصُّبْحِ سَاطعُ
أَرانا الهُــدَى بَعْدَ العَمَى فَقُلُوبُنَــا
به مُوْقنَــاتٌ إنَّ مــا قَالَ وَاقــعُ
يَبيْت يُجَــافي جَنْبَــهُ عَن فراشــه
إذا اسْتَثْقَلَتْ بالْمُشْرِكيْنَ المَضَاجــعُ

---

(١) راجع تفسير القرآن العظيم (٣/٤٦٨) .

ثم ذكر سبحانه وتعالى جزاءهم فقال : ﴿ **فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [السجدة : ١٥].

أي فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله في الجنات من النعيم المقيم واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد لما أخفوا أعمالهم كذلك أخفى الله لهم من الثواب ، جزاءً وفاقاً فإن الجزاء من جنس العمل .

قال الحسن البصري – رحمه الله تعالى –: أخفى قوم عملهم ، فأخفى الله لهم ما لم ترعَيْنٌ ، و لم يخطُر على قلب بشر[1].

وقال سبحانه في وصف عباد الرحمن ﴿ **وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا** ﴾ [الفرقان : ٦٤].

---

(١) راجع تفسير القرآن العظيم (٤٦٩/٣) .

أي يحيون الليل بالعبادة فهم مستيقظون حيث ينام الناس ، ومنتبهون حيث يغفل الناس ؛ لأنهم أخلصوا الحب لله - تبارك وتعالى - فتلذذوا بمناجاته ، ولقد أحسن القائل فيهم .

امْنَعْ جُفُونَكَ أَنْ تَذُوقَ مَنَامَا
وأَذْرِ الدُّمُوْعَ عَلى الخُدُوْدِ سِجَاما
واعْلَمْ بِأَنَّكَ مَيِّتٌ وَمُحَاسَبُ
يا مَنْ عَلى سَخَطِ الجَلِيلِ أَقَاما
لله قَوْمٌ أَخْلَصُوْا في حُبِّه
فَرَضِيَ بِهِمْ واخْتَصَّهُمْ خُدَّاما
قَوْمٌ إِذَا جَنَّ الظَّلاَمُ عَلَيْهِمُ
بَاتُوا هُنَالِكَ سُجَّداً وَقِيَاما
خُمْصُ البُطُون من التَّعَفُّفِ ضُمَرا
لاَيَعْرِفُونَ سِوى الحَلاَلِ طَعَامَا

وعن عبد الله بن سلام ﷺ أن النبي ﷺ قال : ((**أَيُّهَا النَّاسُ ، أَفْشُوا السَّلاَمَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَـــامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ والنَّاسُ نِيَامٌ ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلاَمٍ**))[١].

ففي هذا الحديث بَيَّنَ النبي ﷺ أن قيام الليل سبب من أسباب دخول الجنة ، فاستمك بذلك أخي المسلم – وفقك الله – فإنه مفتاح دار السعادة .

بل إن الصلاة بالليل أفضل من صلاة النهار ؛ لأنها تكون أقرب إلى الخشوع والإخلاص ، ولذلك يقول النبي ﷺ : ((**أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ الله الْمُحَرَّمُ وَأَفْضَلُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلاَةُ اللَّيْلِ**))[٢].

والليل مَوْسِمٌ لِتَنَزُّلِ الرحمات ، ولنُزول رب الأرض

---

(١) **صحيح** : رواه الترمذي (٤/٦٥) وقال : حديث صحيح .

(٢) رواه مسلم (٨/٥٤ نووي) .

والسموات ، وهو وقت فاضل فعليك باغتنامه ، فعن جابر ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((**إنَّ في اللَّيْلِ لَسَاعَةً لاَ يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى خَيْراً مِنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إلاَّ أَعْطَاهُ اللهُ إيَّاهُ ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ**))[1].

ولو تفكر المسلم في ثواب قيام الليل ما تركه قط .

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : ((**إن في الْجَنَّة غُرَفاً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا**)) فقال أبو مالك الأشعري : لمن هي يا رسول الله . قال : ((**لِمَنْ أَطَابَ الْكَلاَمَ ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَبَاتَ قَائِما وَالنَّاسُ نِيَامٌ**))[2].

---

(١) مسلم (٦/٣٥ نووي) .

(٢) رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن ، قال المنذري في الترغيب (٢/٢٤) ، وحسنه الهيثمي في المجمع (٢/٣٥٤) .

واعلم – حفظك الله – أن قيـــام الليل هو طريق الصالحين ، وسبيل العاملين ، وتكفيرٌ لذنوب المذنبين ، وهدايةٌ للفَجَرَة والعاصين .

فعن أبي أمامة الباهلي ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : ((**عَلَيْكُمْ بقيَـــامِ اللَّيلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالحينَ قَبْلَكُمْ ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ ، وَمُكَفِرَة للسَّيِّئَاتِ ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ**))[١] قال الهيثمي في المجمـــع (٢/٢٥١) : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث ، قال عبد الملك بن شعيب بن الليث : ثقة مأمون ، وضعفه جماعة من الأئمة ا.هـــ.

قلت : منهم النَّسائي ، والإمام أحمد ، وابن خزيمة ولكن وثقه آخرون مثل : يحيى بن معين ، وابن عدي ،

---

(١) **حسن** : رواه الطبراني وحسنه العراقي في تخريج الإحياء (٤/٦٣٤)

وأبو حاتم ، وقال المنذري في الترغيب (٣٤٨/٦) : قد روى عنه البخاري في صحيحه .

فمثل هذا حديثه لا يَنْزل عن مرتبة الحسن إن شاء الله تعالى ؛ ولذلك حسَّنه العراقي في تخـــريج الإحياء (٦٣٤/٤) ، والحديث له طريق أخرى عند الطبراني في الكبير ، عن سلمان الفارسي ﷺ ، وفيه عبد الرحمن ابن سليمان ، قال الحافظ في التقريب (٤٨٢/١) : صـــدوق يخطيء ا.هــ. ومثل هذا حـــديثه يصلح في الشواهد ، وللحديث طريق ثالثة . عن بلال ﷺ ، ولا يصح ؛ لأن في إسناده محمد بن سعيد الشامي المصلوب ، وهو كذاب وضّاع ، ولذلك روى الترمذي (٢١٣/٥) حديث أبي أمامة هذا ، وقال : هذا أصح من حديث أبي أدريس عن بلال .

واعلم – أرشدك الله – أن الشرف ، والكرامة في

قيام الليل ، فعن سهل بن سعد رضي الله عنهما قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال : ((**يَا مُحَمَّدُ عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ وَأَحْبِبْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُــهُ ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ ، وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ**))[1].

والمسلم القائم بالليل قريب من ربه – عز وجل –، فعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ((**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَــوْفِ اللَّيْلِ الآخــرِ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ**))[2].

---

(١) **حسن لغيره** : قال الحافظ المنذري في الترغيب (٢/٢٣) ، رواه الطبراني في الأوسط ، واسناده حسن .

(٢) **حسن** : رواه النسائي (٥٧٢) وابن ماجه (١٢٥١) والترمذي (٣٥٧٩) وقال : حسن صحيح غريب .

ويكفيك - بارك الله فيــك - إذا كنت ممن يقيم الليل أن يحبَّك الله ، ويضحك إليك ، ويستبشر بك ، فعن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال : ((**ثَلاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللهُ ، وَيَضْحَــكُ إِلَيْهِمْ ، وَيَسْتَبْشِرُ بِهِمْ : الَّذِي إِذَا انْكَشَفَتْ فِئَةٌ قَاتَلَ وَرَاءَهَا بِنَفْسِهِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَكْفِيهِ ، فَيَقُولُ : انْظُــرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا كَيْفَ صَــبَرَ لِي بِنَفْسِهِ !! ، وَالَّذِي لَهُ امْرَأَةٌ حَسْنَاءُ وَفِرَاشٌ لَيِّنٌ حَسَنٌ ، فَيَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ فَيَقُولُ : يَذَرُ شَهْوَتَهُ وَيَذْكُرُنِي وَلَوْ شَاءَ رَقَدَ !! ، وَالَّذِي إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ ، وَكَانَ مَعَهُ رَكْبٌ فَسَهِرُوا ثُمَّ هَجَعُوا فَقَامَ مِنَ السَّحَرِ فِي ضَرَّاءٍ وَسَرَّاءٍ**))[1].

---

(١) **حسن** : قال الحافظ المنذري في الترغيب (٢/٣٢) رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب .

فيا لها من بشارة عظيمة ، ومنْزلة رفيعة ، أن تنال حب الله عز وجل ، فاسلك نفسك في سلك العاملين وتشبه بالصالحين ، وسر سير المتقين ، وجاهد نفسك في سبيل رب العالمين عسى أن تصل إلى مرتبة المحسنين ، وتكون في الآخرة من الفائزين .

بل إن الغبطة جائزة في أعمال الخير مثل قيام الليل وغيره ، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ((**لاَ حَسَدَ إلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ ، فَهُوَ يَقُومُ به آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً ، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ**))[١] .

وعن يزيد بن الأخنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((**لا تَنَافُسَ إلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ أَعْطَاهُ اللهُ قُرْآناً ،**

---

(١) رواه البخاري (٩/٧٣ فتح) .

فَهُوَ يَقُومُ به آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، فَيَقُولُ رَجُلٌ : لَوْ أَنَّ اللهَ أَعْطَانِي مَا أَعْطَى فُلاناً فَأَقُومُ به كَمَا يَقُومُ فَلانٌ ، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللهُ مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ وَيَتَصَدَّقُ فَيَقُولَ رَجُلٌ مِثْلَ ذَلِكَ »[١].

قال الحسن البصري – رحمه الله –: ما نعلم عملاً أشد من مكابدة الليل ونَفَقَة هذا المال ، فقيل له : ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهاً ؟!!

قال : لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره .

وقال الفضيل بن عياض : إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم وقد وكثرة خطيئتك واعلم – أنار الله قلبك بنور الإيمان – أن قيام الليل هو

---

(١) **صحيح** : قال المنذري في الترغيب (٣٦/٢) رواه الطبراني في الكبير ورواته ثقات مشهورون ورواه أبو يعلى من حـــديث أبي سعيد نحـــوه بإسناد جيد ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب .

مهر الحور العين ، ومن أكثر فله أكثر ، والله أكبر .

يقول مالك بن دينار : سهوت ليلة عن وِرْدي – يعني عن قيام الليل – ونمت ، فإذا أنا في المنـــام بجارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة – أي ورقة – فقالت لي : أتحسن تقرأ ؟ فقلت : نعم ، فدفعت إلي الرقعة فإذا فيها :

أَأَلْهَتْـــكَ اللَّذَائذُ والأَمَانـــيُّ
عَنْ الْبِيْضِ الأَوَانِسِ في الجِنَانِ
تعيشُ مخلَّـــداً لا مَوْتَ فيها
وتَلْهُوْ في الجنَـــانِ مَعَ الحِسَانِ
تَنَبَّهْ مِنْ مَنَـــامِكَ إنَّ خَـــيراً
مِنَ النَّـــوْمِ التَّهَجُّدُ بالْقُـــرْآنِ

ويروى أن أزهر بن مغيث – كان من القوامين – أنه قال : رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء الدنيـــا ،

فقلت لها : من أنت ؟ قالت : حوراء ، فقلت : زوجيني نفسك ، فقالت : اخطبني إلى سيدي وامهرني ، فقلت : وما مهرك ؟ قالت : طول التهجد .

الشيطانُ يثبطُ الإنسانَ عن قيامِ الليلِ

الشيطان فقيهُ الشر ، فهو يعلم أن العبد إذا خــلا بربه في ظلمات الليــل ، وتملقه وتزلّف إليه ، وصفَّ قدميه في طاعته ، وارتمى ساجداً على أعتــابه فإن الله تعالى لا يرده ، بل يقبله ويرفعه درجــات ، ويُقوِّي إيمانه ، ويثبِّته على الصراط المستقيم . لذلك كله عمل الشيطان جاهداً على تثبيط الإنسان عن قيام الليل فهو يعقد على قافية الإنسان عند النوم ثلاث عقد ويضرب على مكان كل عقدة : عليك نوم طويل فارقد .

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((**يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ عَلَى مَكَانِ كُلِّ عُقْدَةٍ : عَلَيْكَ نَوْمٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَأَصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ ، وَإِلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ**))[1].

قال النووي – رحمه الله –: واختلف العلماء في هذه العقد ، فقيل : هو عقد حقيقي بمعنى عقد السحر للإنسان ومنعه من القيام ، قال تعالى : ﴿ **وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ** ﴾ فعلى هذا هو قول يؤثر في تثبيط النائم كتأثير السحر .

---

(١) **متفق عليه :** رواه البخاري (٣/٢٤) ، ومسلم (٦/٦٦ نووي) .

وقيل : يحتمل أن يكون فعلاً يفعله كفعل النفاثات في العقد .

وقيل : هو من عقد القلب وتصميمه ، فكأنه يوسوس في نفسه ويحدثه بأن عليك ليلاً طويلاً فتأخر عن القيام .

وقيل : هو مجازي كُنِّي به عن تثبيط الشيطان عن قيام الليل . أ.هـ[١].

قال الحافظ في الفتح : وقوله (يضرب) أي بيده على العقد تأكيداً وإحكاماً لها قائلاً ذلك . أ.هـ[٢].

وهذه الصفعات الثلاث لا ينالهـــا إلا الغافل الذي نام دون أن يذكر أو أن يقرأ آية الكرسي .

---

(١) شرح مسلم (٦/٦٥) .

(٢) فتح الباري (٣/٢٥) .

فإن قال قائل إن لفظ الحـــديث عام في الغافل وغـــيره ، أقول : إن عموم هـــذا الحديث مُخَصَّصٌ بحديث أبي هريرة عندما قال له الشيطان : إذا أويت إلى فراشك فاقـــرأ آية الكرسي فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح . وأَقَرَّهُ النبي ﷺ بقوله ((**صَدَقَكَ ، وَهُوَ كَذُوبٌ**))[١].

وإلى هذا مال الحافظ ابن حجر في الفتح فقال : يمكن أن يقال يختص بمن لم يقرأ آية الكرسي لطـــرد الشيطان . أ.هـــ[٢].

قال النووي : « فَأَصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ » معناه لسروره بما وفقّه الله الكريم له من الطاعة ووعده من ثوابه

---

(١) رواه البخـــاري (٤/٤٨٧) ، (٦/٣٣٥) ، (٩/٥٥ فتح) معلقاً تعليقاً مجزوماً به .

(٢) فتح الباري (٣/٢٧) .

مع ما يبارك له في نفسه وفي تصرفه وفي كل أموره ، مع ما زال عنه من عُقَد الشيطان وتثبيطه . أ.هـ[١].

قال الحافظ : والذي يظهر أن لصـــلاة الليل سراً في طـــيب النفس وإن لم يستحضر المصـــلي شيئاً من ذلك . أ.هـ[٢].

قلت : وهذا هو الحق ولا يشعر بذلك إلا من ذاق حلاوة قيام الليل ، وآنس قرب الله في هذه اللحظات الطيبة ، فإن ذلك يترك حلاوة في القلب لو خُيِّرَ العبد بينها وبين ملك الدنيا لاختارها .

قال النووي : « وَإِلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ » لما عليه من عقد الشيطان وآثار تثبيطه واستيلائه .

---

(١) شرح مسلم (٦/٦٦) .

(٢) فتح الباري (٣/٢٦) .

قال : وظاهر الحديث أن من لم يجمع الأمور الثلاثة وهي : الذكـــر والوضوء والصلاة ، فهو داخل فيمن يصبح خبيث النفس كسلان . أ.هـ[١].

وهدف الشيطان من هذا كله تثبيط العبد عن قيام الليل وضرب الكسل عليه حتى يتمكّن من الاستيلاء عليه طوال يومه ، وهذه من المكـــائد الخبيثة التي يكيد بها الشيطان للإنسان . ولكن كيف تبطل المكيدة ؟

بعدة أمـــور :

١- الوضوء قبل النوم لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال للبراء بن عازب : ((**إذا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوْءَكَ لِلصَّلاةِ**))[٢].

---

(١) شرح مسلم (٦/٦٧) .

(٢) **رواه البخاري** (١/٣٥٧ فتح) ، **ومسلم** (١٧/٣٢ نووي) .

٢- أن تُوترَ قبل النوم ، إذا خفت ألاَّ تستيقظ إلا إذا كنت متعوِّداً على القيام في الليل ، فهذا أفضل وأحسن وأجمل .

قال ابن عمر - رضي الله عنهما -: ما أصبح رجل على غير وتر أصبح على رأسه جرير قدر سبعين ذراعاً [١].

والجرير هو : الحبل الذي يخطم به البعير فكأن الشيطان أمسك بزمامه فهو يوجهه حيث شاء .

٣- تجمع كفيك قبل النوم وتقرأ فيها المعوذات ثم تنفث فيها ، وتمسح بهما ما استطعت من جسدك بادئاً برأسك . وهذا ثابت في صحيح البخاري من حديث عائشة رضى الله عنها مرفوعاً [٢].

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٣/٢٥) : رواه سعيد بن منصور بسند جيد.

(٢) **صحيح** : البخاري (١١/١٢٥ فتح) .

٤- تقرأ الآيتين الآخرتين من سورة البقرة لما جاء في الصحيحين من حديث أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((**الآيَتَان مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، مَنَّ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**))(١).

قال النووي : قيل : معناه كفتاه من قيام الليل ، **وقيل** : من الشيطان ، **وقيل** : من الآفـــات ، ويحتمل الجميع . أ.هـــ(٢).

قال ابن القيم – رحمه الله :- الصحيح كفتاه شر ما يؤذيه . أ.هـــ(٣).

٥- تقرأ سورة من كتاب الله ؛ لما رواه أحمـــد ،

---

(١) **البخاري** (٣١٨/٧ فتح) ، **مسلم** (٩٢/٢ نووي) .
(٢) شرح مسلم (٩١/٦) .
(٣) الوابل الصيب (٩١) .

والترمذي عن شداد بن أوس ﷺ مرفوعاً : ((**مَا مِنِ امْرِيءٍ مُسْلِمٍ يَأْخُذُ مَضْجَعَهُ فَيَقْرَأُ سُورَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ إِلاَّ بَعَثَ اللهُ مَلَكاً يَحْفَظُـــهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيهِ ، حَتَّى يَهِبَّ**))[١].

٦- تقرأ آية الكرسي بتدبر وتفهم ، فهي تحفظك من الشيطان حتى تصبح كما مرّ آنفاً .

٧- تُسَبّح ثلاثاً وثلاثين ، وتحمد ثلاثاً وثلاثين ، وتكبر أربعاً وثلاثين عند النوم ، وهذا ثابت في الصحيحين من حديث علي بن أبي طالب[٢].

---

(١) **حسن** : رواه الترمذي (١٤٢/٥) وأحمد ، وحسنه الحافظ في تخـــريج الأذكار .

(٢) **رواه البخاري** (١١٩/١١ فتح) ، **ومسلم** (٤٦/٧ نووي) .

٨- تنـــام على جنبك الأيمن وتضع يدك اليمنى تحت خـــدك الأيمن وتقول : ((**بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي ، وَبِكَ أَرْفَعُهُ إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا ، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ**))[١].

٩- ثم تقول : ((**بِسْمِ اللهِ وَضَعْتُ جَنْبِي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، وَأَخْسِئْ شَيْطَانِي ، وَفُكَّ رِهَانِي ، وَاجْعَلْنِي فِي النَّدِى الأَعْلَى**))[٢].

١٠- ثم تذكر الله حتى يغلبك النوم ؛ فعن جابر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((**إِذَا أَوَى الإِنْسَانُ إِلَى فِرَاشِهِ ابْتَدَرَهُ مَلَكٌ وَشَيْطَانٌ ، فَيَقُـــولُ المَلَكُ : اخْتِمْ**

---

(١) **رواه البخاري** (١٢٦/١١ فتح) ، **ومسلم** (٣٧/١٧ نووي) .

(٢) قال النووي في الأذكار (٧٧) : رواه أبو داود بإسناد حسن .

بخَيْرٍ ، ويَقُولُ الشَّيْطَانُ : اخْتِمْ بشَرٍّ ، فَإِذَا ذَكَرَ اللهَ حَتَّى يَغْلبُهُ - يَعْني النَّوْمُ - طَرَدَ المَلَكُ الشَّيْطَانَ ، وَبَاتَ يَكْلَؤُهُ - أَيْ يَحْرُسُهُ - فَإِذَا اسْتَيْقَظَ ابْتَـدَرَهُ مَلَكٌ وَشَيطَانٌ ، فَيَقُولُ المَلَكُ : افْتَحْ بخَيْرٍ ، وَيَقُولُ الشَّيْطَانُ : افْتَحْ بشَرٍّ ، فَإِنْ قَالَ : الْحَمْدُ لله الذَّي أَحْيَا نَفْسي بَعْدَ مَوْتهَا ، وَلَمْ يُمتْهَا في مَنَامهَا ، الْحَمْدُ لله الَّذي يُمْسكُ الَّتي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسلُ الأُخْـرَى إلَى أَجَلٍ مُسَمَّى ، الْحَمْدُ لله الَّذي يُمْسكُ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولاَ ، وَلَئنْ زَالَتَا مَا أَمْسَكَهُمَا منْ أَحَد منْ بَعْده ، الْحَمْدُ لله الَّذي يُمْسكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إلاَّ بإذْنه ، طَرَدَ الْمَلَكُ الشَّيْطَانَ وَظَلَّ يَكْلَؤُهُ »[1] .

---

(١) رواه الحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي .

استهزاءُ الشيطانِ بمنْ أهملَ قيامَ الليلِ

فإذا تسلط الشيطان على العبد حتى جعله ينام طول الليل حتى يطلع الفجر ، استهزأ به وسخر منه ، وازدراه فبال في أذنه ليصمها عن سماع الخير ، والتأثر بالمواعظ ؛ وليسد عليه منافذ العلم والحكمة .

• عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : ذُكـر عند رسول الله ﷺ رجل نام حتى أصبح قال : « **ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْه أَوْ فِي أُذُنه** »[1].

قال الحافظ : واختُلف في بول الشيطان ، فقيل هو على حقيقته ، قال القرطبي وغيره : لا مانع من ذلك إذ لا إحالة فيه ، لأنه ثبت أن الشيطان يأكل ويشرب

(١) رواه البخاري (٣/٢٨ فتح) ، ومسلم (٦/٤٦ نووي) .

وينكح ، فلا مانع من أن يبول ، وقيل : هو كناية عن سد الشيطان أذن الذي ينام عن الصلاة حتى لا يسمع الذكر .

وقيل : هو كناية عن ازدراء الشيطان به .

وقيل : إن الشيطان استولى عليه ، واستخف به حتى اتخذه كالكنيف المعد للبول ، إذ من عادة المستخف بالشيء أن يبول عليه . أ.هـ[١].

وروى الإمام أحمد ، **عن الحسن البصري** قال إن بوله والله لثقيل .

وقال ابن مسعود ﷺ : حسب الرجل منه الخيبة والشر أن ينام حتى يصبح وقد بال الشيطان في أذنه[٢].

---

(١) فتح الباري (٣/٢٨) .

(٢) قال الحافظ في الفتح (٣/٢٩) : رواه محمد بن نصر ، وهو صحيح الإسناد .

أحب القيام إلي الله

إن الله عز وجل يحب الأعمال الصالحة حباً يليق بجلاله وعظمته ويحب العبد الطائع ، فهو يحب العبد القائم بين يديه في جوف الليل متضرعاً خاشعاً ولكنه سبحانه أشد حباً لهيئة معينة في قيام الليل ، ذكرها لنا النبي ﷺ .

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال : ((**أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللهِ صِيَامُ دَاوُدَ ، وَأَحَبُّ الصَّلاَةِ إِلَى اللهِ صَلاَةُ دَاوُدَ ، كَانَ يَصُومُ يَوْمَاً وَيُفْطِرُ يَوْمَاً ، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ**))[1] .

فلو فرضنا أن صلاة العشاء الساعة الثامنة والنصف وصلاة الفجر الخامسة ، فتنام بعد صلاة العشاء يعني قرابة الساعة التاسعة ثم تستيقظ في قرابة الساعة الواحدة

---

(١) **متفق عليه** : رواه الستة إلا الترمذي .

وتظل قائماً مصلياً قرابة ساعتين ونصف فتنام في حوالي الساعة الثالثة والنصف ، وتستيقظ قبل الفجر بدقائق لكي لا يُدركك الفجر وأنت نائم .

فوائد هذه الطريقة :

١– يستيقظ الإنسان لصلاة الفجر .

٢– مواصلة السهر إلى الفجر يجعل في الوجه صفرة فإذا نام الإنسان قليلاً قبل الفجر انتفت هذه الصفرة ، وذهب الإرهاق .

٣– عندما ينام الإنسان بعد القيام يكون محلاً قابلاً لتلقي الرؤيا الصالحة ، والرؤيا الصالحة بشرى من الله لعبده المؤمن .

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ بُشْرَى مِنَ اللهِ**))[1].

---

(١) رواه البخاري (١٢/٤٠٤ فتح) ، ومسلم (١٥/٢١ نووي).

مقدارُ قيامِ الليلِ

يتحقق قيام الليل ولو بركعتين ، قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا** ﴾ قال : من صلى ركعتين أو أكثر بعد العشاء فقد بات لله ساجداً أو قائماً [1].

● وعن فضالة بن عبيد ، وتميم الداري - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال : « **مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ فِي لَيْلَةٍ كُتِبَ لَهُ قِنْطَارٌ ، وَالْقِنْطَارُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَقُولُ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ : اقْرَأْ وَارْقَ بِكُلِّ آيَةٍ دَرَجَةً حَتَّى يَنْتَهِي إِلَى آخِرِ آيَةٍ مَعَهُ ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْعَبْدِ : اقْبِضْ ، فَيَقُولُ الْعَبْدُ بِيَدِهِ : يَا رَبِّ أَنْتَ أَعْلَمُ ، يَقُولُ : بِهَذِهِ الْخُلْدُ**

(١) تفسير القرطبي (١٣/٧٢) .

وَبِهَذِهِ النَّعِيمُ))[1].

● وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((**إِذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيْعاً كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِيْنَ والذَّاكِرَات**))[2].

ولهـذا حث النبي ﷺ الرجل على إيقاظ زوجته والزوجة على إيقاظ زوجها للقيام ودعا لمن يوقظ الآخر بالرحمة فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((**رَحِمَ اللهُ رَجُـلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ**

---

(١) **حسن** : قال الهيثمي في المجمع (٢/٢٦٧) : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه إسماعيل بن عياش ، ولكنه من روايته عن الشاميين وهي مقبولة أ.هـ. قلت : قبلها أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، والنسائي وغيرهم كما ذكر ذلك الحافظ في التهذيب (١/٣٢١) وبهذا يكون الحديث حسناً . حسنه الألباني في صحيح الترغيب .

(٢) **صحيح** : رواه أبو داود (٢/٣٣) بإسناد صحيح .

فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ ، وَرَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ))[1].

صُوَرٌ مِنْ قِيامِ السَّلَفِ الصَّالِحِ رَحِمَهُمُ اللهُ

١ – عن أنس ﷺ قال : دخل النبي ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين ساريتين فقال : ((**مَا هَذَا ؟**)) فقالوا : هذا حبل لزينب تطرد عن نفسها النعاس . فقال : ((**حلُّوهُ ، لِيَصلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإِذَا فَتُرَ فَلْيَرْقُدْ**))[2].

---

(١) **حسن** : رواه أبو داود (٣٢/٢) بإسناد صحيح . حسنه الألباني في صحيح الترغيب .

(٢) **متفق عليه** .

ومن هذا الحـــديث يتبين لنا مدى الاجتهاد الذي كان عليه السلف الصالح فهذه أم المؤمنين زينب تربط حبلاً بين عمودين من أعمدة المسجد وتقيم الليل فإذا غلـــبها النعاس قامت فتعلقت في هذا الحبل لتطرد عن نفسها النعاس .

٢- وعن عبد الله بن قيس قال : دخلت على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقالت : يا عبد الله لا تدع قيام الليل فإن النبي ﷺ ما كان يدعه وكان إذا مرض أو كسل صلى وهو قاعد[١].

٣- وعنه أيضاً سأل عائشة رضي الله عنها : هل كان النبي يَجْهَرُ أم يُسِرُّ في قيام الليل ؟ قالت : كل ذلك فعل[٢].

---

(١) **صحيح** : رواه أبو داود ، صححه الألباني في صحيح الترغيب .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك بسند صحيح .

٤- وفي مستدرك الحاكم بسند صحيح أن النبي ﷺ مرَّ على أبي بكر وهو يتهجد خافضاً صوته ثم مرَّ بِعُمَرَ وهو قائم يرفع صوته فسأل أبا بكر فقال : يا رسول الله لقد أَسْمَعْتُ مَنْ نَاجَيْتُ ، وسأل عمر فقال : لأَطْرُدَ الشيطان وأوقظ الوَسْنَانَ - يعني النائم - قال لأبي بكر : ((**أَرْفَعْ قَلِيلا**)) وقال لعمر : ((**اخْفِضْ قَلِيلا**)) .

٥- وفي موطأ مالك عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كان عمر يصلي في الليل حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله وقرأ ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى** ﴾ [طـه : ١٣٢] .

٦- وفي صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي عثمان النهدي قال : تضيفت أبا هريرة سبعة أيام - أي نزلت ضيفاً عليه - فكان هو وزوجته وخادمه

يقتسمون الليل أثلاثاً . الزوجة ثلثاً ، وخادمه ثلثاً ، وأبو هريرة ثلثاً .

٧- وفي تذكرة الحفاظ للذهبي أن **سليمان التيمي** كان عنده زوجتان ، كانوا يقتسمون الليل أثلاثاً .

٨- **الحسن بن صالح** - وهو من رجال مسلم - كان يقتسم الليل هو وأخوه وأمه أثلاثاً فماتت أمه فاقتسم الليل هو وأخوه عليّ ، فمات أخوه فقام الليل بنفسه .

٩- **الحسن بن صالح** كان عنده جارية فباعها فأيقظتهم في الليل فقالوا : أسفرنا ؟ - يعني طلع الفجر - فقالت : لا . ألا تتهجدوا ؟! فقالوا : لا نقوم إلا إلى صلاة الفجر فجاءت إلى الحسن تبكي وتقول : رُدَّني لقد بعتني لأُناس لا يصلون إلا الفريضة ! فردها .

١٠- **محمد بن واسع** كان إذا جن عليه الليل يقوم ويتهجد . يقول أهله : كان حاله كحال من قتل أهل الدنيا جميعاً .

١١- أبو سليمان الداراني يقول : والله لولا قيام الليل ما أحببت الدنيا والله إن أهل الليل في ليلهم ألذُّ مـــن أهـــل اللهو في لهوهم وأنه لتمُرُّ بالقلب ساعات يرقص فيها طرباً بذكر الله ، فأقول : إن كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه من النعيم إنهم لفي نعيم عظيم .

١٢- رياح بن عمرو القيسي - تابعي جليل - تزوج امرأة يقال لها : (زؤابة) لما جاء النهار فأراد أن يختبرها فقامت تعجن عجينها فقال : أحضر لك أَمَةً ؟ قالت : أنا تزوجت رياحاً وما تزوجت جباراً عنيدا ، فلما جاء الليل تناوم رياح ، فقامت ربع الليل ، فقالت يا رياح قُم ، فقال : أقوم . وظل نائماً ، فقامت الربع الثاني وقالت : يا رياح قم ، فقال : أقوم ، فمضى الربع الثالث ، فقالت : يا رياح قم ، فقال : أقوم ، فدخل الربع الرابع ، فقالت : يا رياح قد عسكر المعسكرون وفاز المحسنون ، يا ليت شعرى من غرني بك ؟! وكانت

إذا دخل الليل تجملت في أجمل هيئة ، فإذا كان له بها حاجة أصابها ثم تفرغا لعبادة الله .

١٣– أبو إسحاق الشيرازي كان إذا جاءه الليل يقوم ويناجي ربه ، وبقول :

لَبِسْتُ ثَوْبَ الرَّجا والنَّاسُ قَدْ رَقَدُوا
وَقُمْتُ أَشْكُوْا إلى مَوْلاي ما أَجِـدُ

وَقُلْتُ يا عُـدَّتِي مِنْ كُـلِ نَائِبَـة
وَمَنْ عَلَيْه في كَشْفِ الضُّـرِّ أَعْتَمِدْ

أَشْكُو إلَيْكَ أُمُـوراً أَنْتَ تَعْلَمُهـا
ما لي عَلى حَمْلِها صَبْرٌ ولا جَـلَدُ

وَقَـدْ مَدَدْتُ يَدَي بالذُّلِّ مُعْتَرِفـاً
إلَيْكَ يا خَـيْرَ ما مُـدَّت إلَيْهِ يَدُ

فَـلا تَرُدَّهـا يـا ربِّ خَـائبةً
فَبَحْرُ جُـوْدِكَ يَرْوِي كَلَّ مَنْ يَـرِدُ

يردده ويبكي .

١٤- روي أن مالك بن دينار بات ليلة يردد هذه الآية حتى أصبح ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ...** ﴾ [الجاثية : ٢١].

١٥- عن زائدة قال صليت مع **أبي حنيفة** في مسجد عشاء الآخرة وخـــرج الناس ولم يعلم أني في المسجد وأردت أن أسأله عن مسألة من حيث لا يراني أحد ، فقام فقرأ وقد افتتح الصلاة حتى بلغ هذه الآية : ﴿ **فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ** ﴾ [الطور : ٢٧] . فأقمت في المسجد أنتظر فراغه فلم يزل يرددها حـــتى أذن المؤذن لصلاة الفجر .

فضل عبادة الليل على عبادة النهار

١- عبادة الليل غالباً ما يتوفر فيها الإخلاص ؛ لأن العبد يقوم في ظلمات الليل لا يراه أحد ، فعن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال : ((**فَضْلُ صَلاَةِ اللَّيْلِ عَلَى صَلاَةِ النَّهَارِ كَفَضْلِ صَدَقَةِ السِّرِّ عَلَى صَدَقَةِ الْعَلاَنِيَةِ**))[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال . قال رسول الله ﷺ : ((**أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ وَأَفْضَلُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلاَةُ اللَّيْلِ**))[٢].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن . قاله المنذري في الترغيب (٢/٢٨) .

(٢) رواه مسلم (٨/٥٤ نووي) .

٢– **عبادة الليل** أشقُّ على النفس والمجاهدة تكون فيها أكثر ، ولذلك يكون الأجر فيها أعظم ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً** ﴾

[المزمل : ٦]

فإذا جاهد الإنسان نفسه في ذات الله هداه الله إلى الطريق القويم ، ورفعه إلى درجة المحسنين قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [العنكبوت : ٦٩].

٣– **عبادة الليل** يكون فيها مزيد تدبر وتفهم لأن الليل وقت السكون والهدوء ، فيتواطأ فيها القلب واللسان على التفهم والتدبر .

٤– **الليل موسم** لِتَنَزُّلِ الرحمات ولنُزول رب الأرض والسماوات فعظمت العبادة فيه وكان لها هذا الأثر لأنه وقت فاضل .

٥- **عبادة الليل** ترفع الإنسان درجات لأنها تجمع بين تخلية القلب من الرذائل بغفـــران الذنوب وتحليته بالفضائل بكسب الحسنات .

فوائدُ قيامِ الليلِ

١- إن العبد إذا قام في الليل ، وصف قدميه لمولاه عابداً خاشعاً ، سَهُل عليه القيام يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن استراح هنا تعب هناك ، والجزاء من جنس العمل .

٢- من يكثر القيام في الليل وكان من الرجال ، يُزَوِّجُهُ الله من الحور العين تعويضاً له عن ترك الفراش الوثير ، والزوجـــة الحسناء ، والتعبـــد لرب الأرض والسماء .

٣- صحة جسم القائم ، وصفاء روحه ، وبهاء وجهه قيل للحسن البصري - رحمه الله - لِمَ كان المتهجدون أحسن الناس وجوهاً ؟

قال : لأنهم خلَوْا بربهم فأعطاهم من نوره .

٤- الفتوحات الربانية والتوفيقات الألهية والإلهامات الجليلة تتم بفضل قيام الليل قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [العنكبوت : ٦٩]

قال **سَرَي السَّقطي** : الفوائد تَرِدُ في ظُلَم الليل .أ.هـ وكم من عالم استغلق على فهمه مسألة فقام يناجي ربه في جوف الليل ففتح الله عليه ويسر له ما كان مستعمراً من قبل .

٥- يُمتِّعُ الله - تعالى - القائمين الليل برؤية وجهه الكريم يوم القيامة ، قال الحسن البصري - رحمه الله -: لو علم العابدون أنه لا يروا ربهم لذابوا .

آدابُ قيامِ الليلِ

١– تتوضـــأ قبل النوم ، وتنوي القيام من الليل ، فقد قال أحد الصحـــابه : إني لأحتسب نَوْمَتي كما احتسب قومتي .

٢– تنوي بالنوم أخذ الراحة لكي تتمكن من قيام الليل لكي تأخذ أجر على نومك .

٣– تذكر الله عند القيام من النوم ، فعن عبادة بن الصامت ﷺ أن النبي ﷺ قال : ((**مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ** – أي استيقظ – **فَقَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، الْحَمْدُ للهِ ، سُبْحَانَ اللهِ ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ، وَلاَ حَـــوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ الْعَلِيِّ العَظِيمِ**)) ثم قال : ((**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ، أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ ، فَإِنْ تَوَضَّأَ**

وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاَتُهُ »[١] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ ، فَلْيَقُلْ : الْحَمْدُ لله الَّذي رَدَّ عَلَيَّ رُوْحِي ، وَعَافَانِي فِي جَسَدِي ، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِه** »[٢] .

٤- تتسوَّك عند القيام من النوم ؛ فقد ثبت أن النبي ﷺ كان يشوص فاه بالسواك إذا قام من الليل.[٣]

٥- تجعل قراءتك بين الجهر والسر ، وقد مر معنا مرور النبي ﷺ على أبي بكر وهو يقيم الليل يقرأ خافضاً صوته ، وعمر رافعاً صوته فقال النبي لأبي بكر : « **ارْفَعْ قَليلاً** » وقال لعمر : « **اخْفِضْ قَليلاً** » .

---

(١) رواه البخاري (٣/٣٩ فتح) .

(٢) رواه الحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي ، والألباني في تخريج الكلم الطيب (٣٨) .

(٣) متفق عليه .

٦- تستحضر نُزُولَ الربِّ إلى السماء الدنيا - نزولاً يليق بجلاله وعظمته - وقوله « **هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرُ لَهُ ، هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبُ عَلَيْهِ ، هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبُ لَهُ ، هل من كذا هل من كذا** » خاصة إذا كنت في الثلث الأخير .

٧- التفكر والتدبر في كل ما تقول وتقرأ ، فإنه ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل فيها .

٨- تفتتح صلاة الليل بركعتين خفيفتين ؛ كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « **إِذَا قَــامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَلْيَفْتَتِحَ الصَّلاَةَ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ** » ، رواه مسلم ، ولعل ذلك لكي تُحل عقد الشيطان الثلاث ، فينشط العبد للصلاة الباقية .

الأمورُ الميسرةُ لقيامِ الليلِ

اعلم أخي المسلم - وفقك الله - أن قيام الليل من أثقل الطاعات على النفوس ، ومن أشدِّها على القلوب ، ومن أصعبها على الأبدان إلا من يَسَّرَهُ الله عليه ، وهناك أمور لو تمسك بها العبد ليسَّرت عليه قيام الليل إن شاء الله تعالى .

وهـــذه الأمور تنقسم إلى قسمين : أمور ظاهرة ، وأخرى باطنة .

أولاً : الأمورُ الظاهرةُ :

١- أن لا يكثر العبد من الأكل والشرب ، فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام ، وقد قيل : لا تأكل كثيراً ، فتشرب كثيراً ، فتنام كثيراً ، فتخسر كثيراً .

وروى **عبد الله بن محمد بن عبيد** بسنده عن **وهيب بن الورد** قال : بلغنا أن الخبيث إبليس تَبَدَّى ليحيى بن

زكريا ، فقال : إني أريد أن أنصحك ، قال : كذبت ، أنت لا تنصحني ولكن أخبرني عن بني آدم ؟ قال : هم عندنا على **ثلاثة أصناف** :

أول صنف منهم : فهم أشدُّ الأصناف علينا ، نُقبل عليه حتى نفتنه ونستمكن منه ، ثم يتفـــرغ للاستغفار والتوبة ، فيفسد علينا كل شيء أدركناه منه ، ثم نعود فيعود ، فلا نحن نيأس منه ، ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن من ذلك في عناء .

وأما الصنف الثاني : فهم في أيدينا بِمَنْزِلة الكرة في أيدي صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا أنفسهم .

وأما الصنف الآخر : فهم مثلك معصومـــون لا نقدر منهم على شيء .

قال يحي – عليه السلام –: على ذلك هل قدرت مني على شيء ؟ قال : لا . إلاًّ مرة واحدة فإنك قَدَّمتَ طعاماً تأكل ، فلم أزل أُشهيه لك حتى أكلت منه أكثر

ما تريد فنمت تلك الليلة فلم تقم إلى الصلاة كما كنت تقوم .

فقال له يحيى : لا جرم لا شبعت من طعام أبداً .

فقال الخبيث : لا جرم لا نصحت آدمياً بعدك .

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **إِنَّ أَهْلَ الشِّبَعِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْجُوعِ غَداً فِي الآخِرَةِ** »[1].

– **وقال عمر بن الخطاب** ﷺ : إياكم والبطنة فإنها ثقل في الحياة نتن في الممات .

– **وقال لقمان لابنه** : يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وقعدت الأعضاء عن العبادة .

– **وقال أبو سليمان الداراني** : من شبع دخل عليه ست آفات .

---

(١) رواه الطبراني بإسناد حسن ، قاله المنذري في الترغيب (١٢٩/٤)

❁ فقد حلاوة المناجاة .
❁ وتعذر عليه حفظ الحكمة .
❁ وحرمان الشفقة على الخلق لأنه إذا شبع ظن الخلق كلهم شباعاً .
❁ وثقل العبادة .
❁ وزيادة الشهوات .
❁ وأن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل .

وقال محمد بن واسع : من قل طعامه فهم وأفهم وصفا ورق ، وإن كثرة الطعام ليثقل صاحبه عن كثير مما يريد .

– **وقال عمرو بن قيس** : إياكم والبطنة ؛ فإنها تقسي القلب .

– **وقال الحسن البصري** : كانت بلية أبيكم آدم عليه السلام أكلة ، وهي بليتكم إلى يوم القيامة .

– **وقد قيل** : إذا أردت أن يصح جسمك ، ويقل نومك ، فأقلل من الأكل .

– **وقال إبراهيم بن أدهم** : من ضبط بطنه ضبط دينه ، ومن ملك جوعه ملك الأخلاق الصالحة ، وإن معصية الله بعيدة من الجائع ، وقريبة من الشبعان والشبع يميت القلب .

وقال الشافعي : الشبع يثقل البدن ، ويزيل الفطنة ، ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة .

● وخلاصة القول أن تقلل من الأكل وتقوم قبل حد الشبع ، وعلامة ذلك أن تقوم وأنت مشتاق إلى الطعام .

٢– ألا يُتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تعيا بها الجوارح وتضعف بها الأعصاب فإن ذلك مجلبة للنوم .

٣– ألا يترك القيلولة بالنهـــار للاستعانة بها على قيام الليل ، فقد قال النبي ﷺ : ((**قِيْلُوا فَإِنَّ الشَّيَاطِيْنَ**

لاَ تَقِيْلُ))(١).

• وفي سنن ابن ماجه بسند ضعيف ((**اسْتَعِيْنُوا بِطَعَامِ السَّحَرِ عَلَى صِيَامِ النَّهارِ ، وَاسْتَعِيْنُوا بِالْقَيْلُولَةِ عَلَى قِيامِ اللَّيْلِ**))

وقد كان الحسن البصري – رحمه الله – يمر على أهل السوق ويقول : أظن ليل هــؤلاء سوء لأنهم لا يقيلون .

٤– أن يتجنب ارتكاب المعاصي ، فإن ذلك مما يقسي القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمــة ، فإن مقترف الذنوب لا يُوَفَّقُ لقيام الليل ، ومن أحسن في نهاره وفق في ليله .

قال رجل للحسن البصري : يا أبا سعيد إني أبيت

---

(١) السلسلة الصحيحة (١٦٤٧) .

معافى ، وأحب قيام الليل ، وأعد طهوري ، فما بالي لا أقوم ؟!.

فقال الحسن البصري : قيدتك ذنوبك .

قيل لعبد الله بن مسعود : ما لنا لا نستطيع قيام الليل ؟.

قال : أبعدتكم ذنوبكم .

٥- أن يبتعد عن التنعم الزائـــد في الفراش ، فإن ذلك يمنع من قيام الليل فقد سُئلت حفصه عن فراش رسول الله ﷺ ؟ قالت : مسحاً - أي كساء خشن من الصوف - نثنيه ثنيتين فينام عليه ، فلما كان ذات ليلة قلت : لو ثنيته أربع ثنيات لكان أوطـــأ له ، فثنيناه له أربع ثنيات فلما أصبح قال : « **مَا فَرَشْتُوهُ لِيَ اللَّيْلَةَ ؟** » قالت : قلنا هو فراشك إلا أننا ثنيناه لك أربع ثنيات ليكون أوطأ لك - أي لينة - فقال عليه الصلاة والسلام :

((**رُدُّوهُ فَإِنَّهُ مَنَعَنِي صَلاتِي اللَّيْلَةَ**))[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : إنما كان فِراشُ النَّبي ﷺ الذي يَنَامُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَمٍ[٢] حَشْوُهُ ليف[٣] .

٦- الابتعاد عن فضول النظر والكلام ؛ فإن ذلك يقسي القلب ، ويبعده عن الرب .

٧- كثرة ذكــر الله ؛ فإن الذكر حيــاة القلب ، وصاحب القلب الحي مُوَفَّقٌ لقيام الليل إن شاء الله تعالى ، فقد مثل النبي ﷺ الذي يذكر ربه بالحي .

وهو فعلاً حي القلب - ومثل الغافل عن ذكر الله بالميت .

---

(١) رواه الترمذي في الشمائل (١٥٦) .

(٢) الأدم : جمع أديم وهو الجلد المدبوغ ، والليف هو ليف النخل .

(٣) **صحيح** : رواه مسلم في اللباس برقم (٢٠٨٢) .

وهو فعلاً ميت القلب – فعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((**مَثَلُ الَّذي يَذْكُـرُ رَبَّهُ ، والَّذي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّت**))[1].

٨– أكل الحـــلال ، والابتعاد عن الحرام ، فكلما كان العبد متحرياً الحلال كان مُوَفَّقاً ، قال سهل بن عبد الله التستري – رحمه الله –: من أكل الحلال أطاع الله شاء أم أبى .

• وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((**إنَّ الله طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إلاَّ طَيِّباً ، وَإنَّ الله أَمَرَ الْمُؤْمنينَ بمَا أَمَرَ به الْمُرْسَلينَ**)) فقال : ﴿ **يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ** ﴾ [المؤمنون : ٥١]. وقال : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ** ﴾

ثُمَّ ذَكَرَ «**الرَّجُلَ يُطِيْلُ السَّفَرَ أَشْعَثْ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ : يَا رَبِّ يَا رَبِّ ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِّيَ بِالحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ**»(١).

• وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**مَنْ أَكَلَ طَيِّباً ، وَعَمِلَ فِي سُنَّةٍ ، وَأَمِنَ النَّاسُ بَوَائِقَهُ ، دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(٢).

ثانياً : الأمورُ الباطنةُ

١- سلامة القلب عن الحقد على المسلمين ، وعن البدع ، وعن فضول هموم الدنيا ؛ كي ينشغل القلب بالله مولاه ويترك ما سواه .

---

(١) **رواه مسلم** .

(٢) **صحيح** : رواه الترمذي (٤/٨٧) وقال : حسن صحيح .

٢- خـــوف غالب يلازم القلب ؛ فإنه إذا تفكر العبد في أهوال الآخرة ، ودركات جهنم طار نومه ، وعظم حذره ، وازداد خوفه .

وقد قيل :

مَنَعَ القُــرْآنُ بوَعْدِه وَوَعِيدِه
مُقَلَ العُيُونِ بلَيْلِهَا أنْ تَهْجَعَــا
فَهِمُوا عن المَلِكِ الجَلِيلِ كَلاَمَهُ
فرِقَابُهُمْ ذَلَّتْ إِلَيْهِ تَخَضُّعَــاً

وقد قيل :

إِذَا مَا اللَّيْــلُ أَظْلَمَ كَــابَدُوهُ
فَيُسْفِرُ عنهم وَهُــم رُكُــوعُ
أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمُ فَقَــامُوا
وَأَهْلُ الأَمْنِ في الدُّنْيَا هُجُوعُ

٣- أن يتفكر في فضل قيام الليل بسماع الآيات والأحاديث والآثار الواردة فيه ، فإن ذلك يدفعه على

العمل وييسر عليه المشقة ، فإن الشوق إلى الجنة يدفع الناس على العمل والاجتهاد لتحصيل المراد من رب العباد .

٤- تذكر حلاوة المناجاة والوقوف بين يدي الله ؛ فإن لقيام الليل لذة في القلب ، وحلاوة في النفس ولا يشعر بهذه اللذة ، وتلك الحلاوة إلا من أخلص الحب لله ، وجرد الاتباع لرسول الله ﷺ قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ... ﴾ [آل عمران : ٣١].

٥- قصــــر الأمل ؛ فإنه يدفع على العمل ، وإياك وطول الأمل ؛ فإنه يدفع على الكسل ، ويجلب الملل ، ويحرمك من لبس الحلل ، والجلوس في الظلل .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي وقال : ((**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ**

غَرِيْبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ » ، وكان ابن عمر يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فــلا تنتظر المساء ، وخــذ من صحتك لمرضك ، ومن حيــاتك لموتك[1].

٦- تذكر نومتك في القبر الوحيش وظلمته ؛ فإن ذلك يهون عليك القيام في ظلمات الليل .

قال الإمام البخاري - رحمه الله تعالى -:

اغْتَنِمْ فِي الفَــرَاغِ فَضْلَ الرُّكُوْعِ
فَعَسَى أَنْ يَكُــوْنَ مَوْتُكَ بَغْتَــة
كَمْ مِنْ صَحِيحٍ مَاتَ مِنْ غَيْرِ سَقَمٍ
ذَهَبَتْ نَفْسُهُ الصَّحِيْحَــةُ فَلْتَــة[2]

---

(١) **صحيح** : رواه البخاري (٢٣٣/١١ فتح) .

(٢) انظر هدى الساري (٤٨١) .

الفهرس